ثلاث نساء في لحظاتهنّ الباريسية

ترجمة: نجاح الجبيلي

سونتاج — ديفز — بوفيير

يدور كتاب "حلم الفرنسية" حول السنوات الساخنة التي قضتها ثلاث من النساء الأمريكيات الطموحات والمدهشات في باريس حين كنّ في العشرينات. كانت جاكلين بوفيير هناك عامي ١٩٤٩-١٩٥٠ بينما كانت تدرس في كلية "فاسار" وقبل بضع سنوات التقت الرجل الذي سوف يجعل منها السيدة الأولى. أما السيدة ديفيز فقد قضت عامي ١٩٦٣-١٩٦٤ في باريس بينما كانت تدرس في جامعة براندیز. وكلاهما كان تخصصهما في اللغة الفرنسية.

أما سوزان سونتاج فقد قضت عامي ١٩٥٧-١٩٥٨ في باريس وكانت في الرابعة والعشرين حين ذهبت للخارج. وحصلت على زمالة من الجمعية الأمريكية لجامعة النساء. تركت زوجها فيليب ريف وابنها البالغ خمس سنين في الولايات المتحدة وحين رجعت إلى بلدها طلبت الطلاق.

إن مؤلفة الكتاب هي بروفسورة اللغة الفرنسية في جامعة ييل التي تستحق كتبها السابقة التقدير العالي مثل كتاب "دروس الفرنسية"، و"المتعاون". وقد نبهت كيف أن تلكم النساء كنّ مختلفات.

كتبت تقول: "إذ ما أرجعتهن إلى هوياتهنّ فهناك الفتاة الكاثوليكية (أي جاكلين كندي) التي تظهر لأول مرة والمثقفة اليهودية (سوزان سونتاج) والثائرة الزنجية (أنجيلا ديفز)".

إن السيدة كابلان مهتمة أكثر بالشخصيات الجذابة. فهي تبحث في بوفيير وسونتاج والسيدة ديفز فيما تدعوه "تلك العتبة الوجودية التي تبدأ ترى منها ماذا بإمكانك أن تفعل بما أعطي لك". وهي تلاحظ ببراعة بأن قصصهن: "لم تحتل مكاناً في التقليد الأميركي العظيم للأدب المغترب". إن صخب فتيان مثل هنري ميلر وبليمبتون وأليك بالدوين ومغامراتهم في الخارج امتصت بشكل تقليدي الأوكسجين من غرفهن.

والعقبة التي تواجه السيدة كابلان في "الحلم بالفرنسية" هي أن هذه النساء لم يتركن كمية كبيرة وراءهن بالعلاقة مع المقالات المكتوبة عن سنواتهن في باريس.

تكتب السيدة كابلان حول هذه المنطقة المظلمة. فهي تسهب في الكتب التي قرأنها والمسرحيات التي شاهدنها والمناخ الفكري الفرنسي المتحول. لقد أجبرت على تلفظ التعميمات الواسعة مثل " فرنسا أعطت كل من هؤلاء النساء ثقة عميقة وطويلة الأمد وعززت روح المغامرة وأمنت حريتهن من القيود المفروضة في أوطانهن".

كانت عائلة بوفيير مهووسة بأصولها الفرنسية المفترضة لكن بوفيير كانت ٨٠٪ فرنسية كما تكتب السيدة كابلان. فسنتها في باريس هي مزيج متضارب من العوالم. لقد درست وقضت الوقت في المقاهي والمتاحف مع نساء شابات في البرنامج الدراسي لكن حياتها كما تكتب السيدة كابلان كانت "اندفاعاً في سكن القصور والصيد والحفلات".

خلال حياتها التهمت بوفيير الروايات الفرنسية وشاهدت الأفلام الطليعية وتابعت الأزياء الفرنسية. في البيت الأبيض تسلم الرئيس كندي شكاوى من البعض في الكونغرس من أن الزوجين أصبحا "فرنسيين جداً".

نجحت بوفيير في العودة إلى فرنسا عام ١٩٦١، كونها السيدة الأولى في الولايات المتحدة. في مؤتمر صحفي قال زوجها: "أنا الرجل الذي سيصحب جاكلين كندي إلى باريس".

وصلت سونتاج إلى باريس للدراسة الأكاديمية عامي ١٩٥٧ - ١٩٥٨ وفي ما بعد أشارت لنفسها كونها "الأمريكية المتأوربة ذاتياً". كانت تجربتها بعيداً من أن تكون غرة وبوهيمية أكثر من بوفيير. وكان الشاعر آلان غنسبرغ جارها. كانت سونتاج تشاهد فيلمين كل يوم وتقرأ بشراهة وتدخل المشارب والمقاهي ولديها علاقة حميمة مع امرأة أمريكية أخرى. لهذا فإنها هجرت للأبد فكرة " أن الحياة العقلية تطرد المتع الجسدية" كما تكتب السيدة كابلان.

تقوم السيدة كابلان بتتبع سونتاج وكيف أن " الكثير من قوتها وهيبتها وجوها المميز في الولايات المتحدة مرتبطة بما تعلمته ثم تعلمت أن تنقله من فرنسا". تدعو سونتاج باريس " العاصمة البديلة لخيالها". وحين توفت عام ٢٠٠٤ قام ابنها ديفيد ريف بتعليمات صريحة منها أن يأخذها إلى باريس كي يدفنها.

وصلت السيدة ديفز بعد ست سنوات من وصول سونتاج للدراسة الأكاديمية عام ١٩٦٣-٦٤. لقد تربت في مدينة برمنغهام في ولاية ألاباما ذات الفصل العنصري لكن عائلتها عاشت في منهاتن إذ أجادت الفرنسية في المدرسة الثانوية المسماة "أليزابيث أيروين" في "غرينتش فليج".

كانت في باريس حين ضربت كنيسة برمنغهام بالقنابل عام ١٩٦٣. وقد رأت تلميحات إلى العنصرية في فرنسا وهي البلد الذي هرب إليه الفنانون الأمريكيون السود نتيجة الظلم الذي شعروا به في الولايات المتحدة.

وحول المظاهرة التي نظمها المناصرون للقضية الجزائرية والتي رأتها في "بلاس دو لا سوربون" كتبت السيدة ديفز: " حين قامت الشرطة الفرنسية بسحق المظاهرة بخراطيم المياه القوية كانوا يشبهون في وحشيتهم الشرطة ذوي الأعناق الحمراء في برمنغهام".

بعد أن اتهمت السيدة ديفز بالقتل والمؤامرة والخطف لدورها في خطف وموت قاض من كاليفورنيا عام ١٩٧٠ أصبحت قضيتها مثار جدل بين الكتاب والمفكرين الفرنسيين مثل جان جينيه وميشيل فوكو. وعدوها قضيتهم الخاصة وكان ثمة احتفاء بها في باريس حين جرت تبرءتها.

إن "الحلم بالفرنسية" هو كتاب حالم أيضاً بالطريقة التي يظهر بها غامضاً وواضحاً في الوقت نفسه. إلا أنه دائماً يبدو بليغاً في شيء واحد هو أن تعلم لغة أجنبية، كما وصفت ذلك بوفيير، هو "حياة مضاعفة".

عن صحيفة الغارديان

البرج العاجي

▪فوزي كريم

خطّة نبيلة

نموت، نحن الكتاب العرب، دون رسائل أو يوميات. نترك نصوصنا الخيالية عائمة في ريح دون أن تلقي ظلالاً على الأرض. لأن الرسائل الشخصية واليوميات الشخصية هي ظلال النصوص الإبداعية على الأرض. كم تمر بين يديّ رسائل الكتاب الغربيين ويومياتهم في مجلدات لا تسعها مكتبتي، حتى لتبدو لي ولكثيرين أكثر إغواء من كتب نصوصهم الإبداعية!

رسائل الشاعر تي أس أليوت واحدة منها، صدرت قبل فترة في مجلدين عن دار "فيبر أند فيبر"، التي كان يديرها أليوت في مراحل حياته المتأخرة. الرسائل تجعلنا نتتبع خطواته على الأرض، بل خطوات نصوصه الخيالية على التربة الشائبة، وفي الظرف الزماني الشائب. كان في المجلد الأول شاب يطمح أن يكون فيلسوفاً، لا شاعراً. ثم يقيم في لندن بعد الحرب الكونية الأولى. تأخذه الحاجة إلى العمل المصرفي المنهك، كما تأخذه الوحدة إلى الزواج من فيفيان المرتبكة عقلياً. وبين فكي الألم هذين يتدفق الشعر على الفيلسوف، فيكتبُ رائعته "الأرض اليباب".

ولأن محنة العمل المصرفي تحتل قلب المجلد الأول، انتخب حدثاً ملفتاً للنظر، يكشف عن مقدار روح الرعاية النبيلة التي يتمتع بها شاعر غربي مثل إزرا باوند ومجموعته لموهبة محاصرة مثل موهبة أليوت. فقد شاء باوند عام ١٩٢٢ أن يحرر أليوت من عمله الوظيفي فوضع خطة أطلق عليها اسم Belesbrit (ذو لعقل الخلاق). الخطة تتلخص في البحث عن ثلاثين شخصاً من الضامنين لدفع ١٠ باوند من كل ضامن في السنة، من أجل توفير مبلغ ٣٠٠ باوند مرتباً سنوياً لأليوت، تؤهله لترك العمل والتفرغ للكتابة. الإعلان السري الذي كتبه باوند في ١٩٢٢ جاء فيه: "إن أليوت لا يسأل فضلاً من أحد بالتأكيد، خطتنا كانت تدبيراً دون معرفة منه. إن عمله في البنك أضعف من نتاجه الشعري، وأشاع الوهن في نتاجه النثري. في الشتاء الفائت أصاب أليوت انهيار نفسي مُنح على أثره إجازة ثلاثة أشهر للراحة. خلال تلك الفترة كتب أليوت "الأرض اليباب"، وهي سلسلة قصائد، لعلها تشكل أفضل ما قدمته حركة الحداثة في الشعر الانكليزي منذ ١٩٠٠، ولا نقل شأناً عن أفضل ما كتبه كيتس، براوننغ أو شللي."

ولكن أليوت عارض الخطة حين علم بها، لأنها في رأيه لن توفر له الاستقرار الذي يقدمه له عمله في البنك: "لا أفضلية في اعتماد هذا الدخل غير المحدد على مدى خمس أو عشرة سنوات قادمة،" كتب أليوت لصديقه ريتشارد ألدنغتون في حزيران ١٩٢٢، وانفرط عقد الخطة حين أصبحت معلنة.

إن أكثر ما أربك أليوت في لحظة إعلان الخطة في الصحافة الثقافية هو أنها يمكن أن توحي بقرار التخلي عن عمله في البنك، مع أنه كتب للشاعر باوند بصورة شخصية في نوفمبر ١٩٢٢، "من الطبيعي أنني أريد أن أترك وظيفة البنك، وطبيعي أن فكرة بقائي فيه طوال حياتي تبدو لي مقيتة. ولذا ما من حاجة لتأكيد ذلك."

براعات المهنة التي تعلمها أليوت في عمله في البنك مكنته من تحرير نفسه. فقد بدأ، بدعم مالي من السيدة روثمير، إصدار مجلة فصلية باسم "المحك" أو المعيار في النقد عام ١٩٢٢، بحيث أصبحت مراسلاته الكثيرة مع الكتاب نافذته الواسعة لرؤيته الشعرية والنقدية. وطوال الوقت كان يحاول عبثاً مع راعية مشروعه الثقافي هذا، بأن تحدد له راتباً جزاء عمله الكثيف المرهق الذي يتطلبه إصدار المجلة، حتى أنه توسط لها عدداً من الأصدقاء لإقناعها بذلك. هذا الجهد التحريري، والإسهامات الكتابية في المجلة حفز جيفري فيبر، صاحب دار النشر "فيبر" على الاتصال به والاتفاق معه ليكون عضو تحرير أساس في الدار. مع هذا الاتفاق قرر أليوت مغادرة وظيفته في البنك، والبدء بحيات جديدة مضمونة الراتب والمستقبل، عمادها الكتاب والنشر.

خطة إزرا باوند لم تُحقق، ولكنها حلقت مضيئة في أفق كل سعي ثقافي النبيل.

وجهة نظر

محو الأميّة الالكترونيّة

حسن قاسم

منذ أول دفقة ضوء إلكترونية منحتها الشبكة العنكبوتية عبر محركات (غوغل، ياهو)، للمستخدم العراقي، تبين أثرها على ملامح الثقافة العراقية، تلك الثقافة التي كانت تعاني طيلة عقود من اللامبالاة والنسيان من قبل القارئ العربي الذي تجاوزها بمراحل، وذلك بسبب آليات الحكم الديكتاتوري المعروفة، والتي ساعدت في إرساء أمراض من التخلف السياسي- الثقافي العراقي آنذاك، حينما كان كل شيء محظوراً، وكان مرض (الأمية الإلكترونية) مستشرياً في صفوف المثقفين العراقيين مثل أمراض القرون الوسطى (السل والتدرن والجدري)، ولا أحد يمكنه إنكار هذه الحقيقة المرة إلا من كان يساعد النظام في تخلفه، ويمجد لذلك التخلف عبر نصوص مشبوهة كانت تنشر على الصفحات الثقافية للصحف العراقية، وكان مسؤولو تلك الصفحات هم الستار الحديدي الأول ضد أي اختراق محتمل يمكن أن يفكر فيه منتجو الثقافة، وقد كان الشاعر أو القاص أو الناقد – المحروم من أي اتصال الكتروني خارجي - يلقى النفور من مسؤولي تلك الصفحات الذين وقفوا (ببسالة) ضد أي نص يحاول الخروج على سلسلة الاشتراطات والوصايا التي يحفظها مسؤولو الصفحات الثقافية جيداً، وينشرون، أو يسمحون - فقط - بنشر نصوص تستجدي النظام، أو تتغنى برموزه القروية. صحيح أن بعض الأدباء والنقاد العراقيين تجاوزوا محنة الداخل بنشر نصوصهم في صحف ومجلات عربية مستخدمين (تقنية) صناديق البريد التي كانت مراقبة هي الأخرى، إلا أن مرارة تلك الحقبة بقيت تأثيراتها لسنوات لاحقة من عمر الثقافة العراقية، فوجد الجميع أنهم كانوا ضحية مؤامرة تستهدف عمق تلك الثقافة، وتحط من الأسماء التي لم تشترك في المهزلة الكبرى لوضع الثقافة في خدمة النظام من خلال التغني الدائم بأمجاده الزائفة، وانتصاراته الوهمية، والموجودة – فقط – في أذهان الطبالين والزمارين من جوقة النظام. لم يكن للكلمة أن تسفر ذلك السفور الأيديولوجي بوجود مخبري النظام، وكتّاب التقارير، إلا فيما ندر من محاولات محفوفة بالمخاطر وثقت لأدباء شجعان (يعدون على أصابع اليد الواحدة) كان لهم شرف الوقوف بوجه الطغمة الثقافية، فقالوا كلمتهم المقاومة، وأثبتوا أن : ليس المثقفون العراقيون جميعهم جبناء، وأن فيهم من لم يهز مؤخرته ضمن فرقة الرقص الرئاسية التي كانت تحدد بالضبط من يقف معها، ومن يقف ضدها – أي ضد وصايا القائد، وتعليمات الحزب والثورة – ليتسلم الأديب المدجّن، في آخر الشهر تكريماً مذلاً عن نصوص ليست مذهلة كان قد نشرها بمباركة من مسؤولي الصفحات الثقافية في الصحف والمجلات العراقية (الجمهورية والقادسية والثورة وجريدة بابل ومجلة ألف باء)، حتى جاءت مجنزرات الاحتلال فأطاحت بهم جميعاً، فكان للتغيير فعل الصدمة على الجميع، حيث تحرر النص العراقي أخيراً من وطأة القوى (الارتكاسية) المتمثلة بمسؤولي الصفحات الثقافية. لكن سيرة الألم الثقافي العراقي بقيت بمنجاة من التعرض لها، لأن الهجمة السلفية التي تلت الاحتلال كانت أشد وطأة من الاحتلال نفسه – وإن يكن الاحتلال هو من ساعدها على الظهور بتلك القوة من الفتك- فوجد المثقف العراقي نفسه أسير قوى (ارتكاسية) جديدة، خفية، متعددة الخطابات، ومتنافرة الطروحات، لا تسمح لأي كان بقول ما يشاء، في أي وقت يشاء، وفي أي مكان يشاء، تحت ذريعة الدين، وهذه المرة وبعد أن تبدى السفور الايديولوجي، تبدى معه السفور الديني (حيث الحشد الزائف من الرؤى والمعتقدات كما يسميها الناقد العربي نبيل سليمان) . وقد ساعدت وسائل الإعلام المتعددة، وشبكة الانترنيت في عودة أعراض المرض من جديد، وصارت المواقع الإلكترونية والفيس بوك مشغولة بمعارك جانبية تستهدف المذهب والطائفة والعرق، ولا تضع للثقافة وزناً، وذلك واضح جداً من المقالات المنشورة والردود والتعليقات المرافقة لها، والآن وبعد الخروج غير المشرف للمجنزرات الأميركية، ما عاد أمام الكاتب العراقي، والمثقف العراقي، في الداخل والخارج إلا الكف عن صنع ثقافة العنف والإقصاء اللذين كان ينادي بهما (طائعاً أو مكرهاً)، ومحاولة إنتاج ثقافة حقيقية ترتقي بالنص الإلكتروني من أمراضه ليتعافى، فيتعافى معه القارئ.

نص

الأبيض.. الأبيض

رياض النعماني

من جميع النسيم،... ينحلّ حرف السين في غيمة ، هبطت من جناح ملكة النحل الصاعدة الى غبطة غيبوبتها المنتشرة في طلع ازهار مشمشة نامت سبع ليال في مطر ظلٍ ينهمرُ عليها من عسل اسكرته الأغاريدُ ومذاقُ ريق بلبل لم يكف عنْ السكر في ذرى شجرة اللوز التي وُلدت مع الأغنية والخمر وفيهما وبهما

ابيضٌ يدورُ في الأبيض،.. يزورهُ ويوسِّع من محيطه ، يطيرُ فيه، يلتقي به ويعانقه في وله محموم حتى يشهقانِ سويةً فينادي أحدهما الآخر دون صوت :

يا أنا

أحَبُ ما فيّ إني أحبك

وأحبُ ما في الحب أنه يؤرخُ تاريخَ جسدك ،ويعيدُ كتابةَ نصه الأزلي بلغةٍ لم نعرفها من قبل ..

وهكذا وفي كلام لم نسمعهُ، كلام ملون بآلاف الألوان، وآلاف الروائح يندغمان ويغمغمان .. يخرجان ليخلان ، يتداخلان وينصهران بنغمٍ يسبقُ الصوت

- أين أنا ؟

- أين الأين؟

- من أنا،

- هل أكونُ قبل الهمزة أم بعد الألف الصاعد إلى فحولة لا تعثرُ على نار لذتها ألا في دماء أنثى غشيَ على السين حينَ شاهدها وانحَلَّ في العطر الذي سالَ فوق

- وتحت ،وفي غمار موجة خدّرها مسيل الحرير

والذهب

والقمر

والنسيم في ماء اكتشف معنى الطراوة في هذا المسيل ليلٌ بياضٍ كلما فيه أبيض أبيض..

وعلى مرأى من المعجزة يولدُ من زهرة اللوز يسوع بن مريم في كامل المطر، آخذاً معه بياض الأبدية إلى أيد البياض.

السلامُ على الحلاج.. أنّى حلّت ركائبُ الخمرة والعشق،

فالكلُ ابيضٌ،... الخمرُ

والفجرُ

والعشقُ

والسريرةُ والقلبُ الطيبُ

والأسودُ الحق ... القوامُ الأشمُ المهيب الرباني الخارق .

الأغنيةُ والرقصُ،المطرُ، شواطئ المستحيل ، وإشراق العبارة من أهاب الإشارة

الفرحُ

وقلب الله أبيضٌ أبيض

أبيضٌ ينحني على الفاء فتنهمرُ اللذةُ السرمديةُ من جسد التفاحة لترتفعُ حكمة الحب بيضاء حتى آخر البياض.

دمشق

في ١٣/ ٤/ ٢٠١٢